دين الرحمة

عبد الله كنون

لا أدري أين قرأت لأحد الكتاب المسلمين محادثة جرت بينه وبين جماعة من الشباب المسيحيين في أوربا حول الإسلام ومبادئه وتعاليمه، وكان مما تضمنته تلك المحادثة سؤال إحدى الفتيات عن الكلمة التي يمكن أن يعبر بها عن الهدف الأسمى للإسلام كدعوة خلقية، وتقابل الكلمة التي يعبر بها في المسيحية عن ذلك الهدف وهي كلمة المحبة، إذ يقال في المسيحية إنها دين المحبة ويقول الذي لا أذكر اسمه، إنه فوجئ بهذا السؤال أولا ثم فكر وأجاب بكلمتين، أظنهما: العدل والإخاء.

وليعذرني حضرته إذا لم أستوعب كلامه، فإني لم أهتم بالموضوع أولا، كما حصل له تماما، ثم فكرت فيه بعد ذلك فرأيته من الأهمية بمكان.

وإني لو سئلت هذا السؤال لأجبت عنه بما يخالف جوابه شكلا وموضوعا، أما من ناحية الشكل فإن المطلوب هو كلمة واحدة تعبر عن الفكرة الإسلامية في هذا الصدد، وتقابل الكلمة التي تعبر عن الفكرة المسيحية فيه وهي واحدة، على حين أن هذا الجواب يشتمل على كلمتين اثنتين.

وأما من ناحية الموضوع فإن المسؤول عنه هو السمة الخلقية التي تغلب على الدعوة الإسلامية، وهذا الذي ذكره هو جواب عن الاتجاه السياسي للإسلام، الذي نستطيع أن نعبر عنه بكلمة واحدة هي أدل على المراد من الكلمتين معا، ألا وهي (السلام). فالإسلام من هذه الناحية هو دين السلام، وعلى كل فليس ذلك بالجواب الذي يطابق السؤال لفظا ومعنى، ويصح أن يقال أنه الشعار الخلقي للمسلمين، كما يقال أن المحبة هي الشعار الخلقي للمسيحيين.

والجواب الصحيح في نظري هو الرحمة، فمن أراد أن يعرف الإسلام تعريفا خلقيا فليقل: أنه دين الرحمة:

ألم يبعث الله رسوله رحمة للعالمين؟

ألم يفتح كتابه بالبسملة وهي أربع كلمات اثنان منها هما: الرحمن الرحيم؟

بلى: وإن في أحاديث الرسول وآيات الكتاب العزيز لمجالا رحبا وذيلا سخيًا لمن أراد أن يفيض الكلام في هذا الموضوع الخصب.

فالرسول (ص) يقول إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب على نفسه: رحمتي تغلب غضبي. والكتاب العزيز يقول تصديقا لذلك: "ورحمتي وسعت كل شيء".

ثم إنك لا تقرأ سورة من سور القرآن إلا وكانت البسملة أول ما تقرأ فيها، عدا براءة، التي نزلت بالسيف، بل هذه الفاتحة لا تقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) أولها حتى تجد هذين الوصفين الكريمين، هما ثاني آية منها، فالحمد لله رب العالمين تليها مباشرة: الرحمن الرحيم.

ويتكرر وصفه تعالى بالرحمة في غير ما آية من الذكر الحكيم، ولعل أرجى آية في القرآن هي كما يقول لعض العلماء قوله تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم".

ولا يخفى أن دلالة هذه الآيات الكريمة هي تعظيم شأن الرحمة والحض على التخلق بها، لأنها وصف لله عز وجل الذي يطمع جميع الخلق في أن يعاملهم به، لينجوا من العذاب، وإلا فلا نجاة لأحد، لأنهم جميعا مذنبون خطاءون، ولا يقوم إحسان أحد بإساءته ولا عمله بتقصيره أبدا ومن ثم كان دخول الجنة للطائع والعاصي معا برحمة الله، وتتفاوت المراتب فيها بالأعمال.

وبرشد الرسول (ص) إلى هذا المعنى من أن التخلق بالرحمة هو السبيل الوحيد للحصول عليها، فيقول: من لا يرحم لا يرحم، ويقول: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

ولا تخص دعوة الإسلام الرحمة بطبقة من الناس، بل تعم الجميع، وتشمل الحيوانات أيضا، فعن عمر (ض) قدم على النبي (ص) سبى، فإذا امرأة تحلب ثديها؛ تسقي؛ إذا وجدت صبيا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها، وأرضعته، فقال لنا النبي(ص) : أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ فقلنا: لا: وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: الله ارحم بعباده من هذه بولدها.

وروي عنه (ص) أنه قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفمه فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر، وروي أيضا أنه قال: دخلت امرأة النار في هرة، حبستها فلا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

فهذا رجل جوزي بسبب كلب رحمه، وهذه امرأة عوقبت بسبب عدم رحمتها للهرة، فالمدار على الرحمة وجودا وعدما.

ولعل هذا كله لا يبين المدى البعيد الذي تصل إليه الرحمة الإلهية كما يبينها حديث شريف يذكر ما أعده الله في خزائنه لعباده من هذا الكنز الثمين، وأنه لحكم على طبيعة هذه الدعوة الإسلامية بأنها للرحمة أولا وأخيرا. وهذا الحديث هو قوله (ص) جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.

وبعد فما هي نسبة المحبة من الرحمة، أو ما هو الفرق بين الشعارين إن كان لا بد من اعتبار الفارق بينهما؟

لا شك أن الرحمة أعم من المحبة، فأنت ترحم وإن لم تحب، وبذلك يكون الشعار الإسلامي أكثر انسجاما مع دعوته التي هي دعوة عامة لجميع الخلق، بخلاف الشعار المسيحي الذي لا يمكن أن يطبق إلا على من يستطيع الإنسان أن يحبهم، بعبارة أخرى أن الإسلام لم يهمل المحبة، كيف وقد قال نبيه (ص) لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولكنه دعا إلى الرحمة أكثر مما دعا إلى المحبة، علما بأن الرحمة أدنى مثالا من البشر وأعم مفعولا، ولأنها أيضا هي المراد من المحبة، لا المحبة ذاتها، فقد تنحرف المحبة عن سبيلها، ولا تؤتي الثمرة المطلوبة التي هي الرحمة، كما وقع لديك الجن الذي أحرق محبوبه واتخذ من رماده كأسا كان يشرب بها، ويغني ما قاله من الشعر في ذلك المحبوب.

ولعل هذا المثال هو أقرب ما يكون من محبة بعض الأمم المسيحية لإخوانهم في الإنسانية بل وفي الدين؛ ويرحم الله شوقي إذ يقول في هذا المعنى:

(عيسى) سبيلك رحمة ومحبة
في العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امرءا
هان الضعاف عليه والأيتام
يا حامل الآلام عن هذا الورى
كنزت عليه باسمك الآلام
أنت الذي جعل العباد جميعهم
رحما، وباسمك تقطع الأرحام

دعوة الحق، ع١١، السنة الأولى مايو ١٩٥٨

دور علماء المغرب في الدعوة الى الله قديما وحديثا

للأستاذ عبد الله كنون

يقول الله تبارك وتعالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : يقول تعالى ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بامر الله في الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، قال الضحاك هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة ، يعني المجاهدين والعلماء . وقال ابو جعفر الباقر : قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ثم قال : « الخير اتباع القرءان وسنتي » رواه ابن مردوية . والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الامة متصدية لهذا الشان وان كان ذلك واجبا على كل فرد فرد من الامة بحسبه ، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان ، وفي رواية : « وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » انتهى كلام ابن كثير .

من هذه الآية الكريمة كان منطلق الدعاة الى الله في الاسلام ، منذ فجر الاسلام ، انها أوجبت الدعوة على الامة ، على المؤهلين منها العارفين بما تكون الدعوة اليه وهو الكتاب والسنة ، فلم يسعهم الا القيام بهذا الواجب لانه في حقهم بمثابة الصلاة والصيام وغيرهما من الفروض ، وان فرطوا فيه كانوا آثمين هم وسائر الامة على قاعدة الفرض الكفائي ، يأثمون هم لعدم قيامهم بهذا الواجب ويأثم سائر الامة لانهم يقعون في المخالفات بسبب عدم الامر والنهي ، الا من استنكر ذلك بقلبه واحتمى منه . وهو أضعف الايمان .

وما أحسن ما فسر به ابن كثير مقاصد الآية ، فالمراد هو قيام جماعة مخصوصة بهذا الواجب لا كل الناس ، والا صار الامر فوضى . وربما انقلب الحال فوقع الامر بالمنكر والنهي عن المعروف كما نشاهد ذلك في كثير من الاحوال .

ثم الدعوة لا تكون لكل ما ينعق به الناعقون ، ويتبجح به المتبجحون ، ولو سموه باسماء مغرية ونسبوه الى من يزعمونهم قادة الفكر في العالم ، فالعالم لم يزل في الضلال وانما انقذته دعوات الانبياء والمرسلين ، ولذلك بين المفسر ما تكون الدعوة اليه بحديث ابن مردوية ، وهو الكتاب والسنة ، وبين كذلك الدعاة بقول الضحاك : هم خاصة الصحابة ، يعني في العهد الاول ، وخاصة الرواة ، يعني فيما بعده من العهود ، وزاد المفسر فبين المراد بهم بقوله : يعني المجاهدين والعلماء ، وهي كلمة توزن بالذهب لانها وضعت الامر في نصابه ، فالمجاهدون هم الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا وهم اشرف الدعاة

واول من يدخل في عداد هذه الآية التي أمر الله عز وجل بقيامها ويدخل فيهم بالاولوية المدافعون عن الارض المغتصبة من اراضي المسلمين ؛ والعلماء هم العارفون بالكتاب والسنة والمنكر والمعروف بحسب ما تنص عليه الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة ، لا كل من هب ودب وزعم انه من العلماء فربما جعل البدعة سنة والسنة بدعة ! ...

الى هذه الآية المؤسسة المشرعة للدعوة ، هناك آية اخرى مكيفة وموجهة لها ، وهي قوله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) قال القرطبي : هذه الآية نزلت بمكة في وقت الامر بمهادنة قريش ، وامره أن يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف ، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون الى يوم القيامة . فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين ، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين ، وقد قيل : ان من امكنت معه هذه الاحوال من الكفار ورجي ايمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة ، والله اعلم ، وقال ابن كثير : يقول تعالى آمرا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدعو الخلق الى الله بالحكمة ، قال ابن جرير وهو ما انزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة ، اي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ، ذكرهم بها ليحذروا باس الله تعالى ، وقوله وجادلهم بالتي هي احسن اي من احتاج منهم الى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى : « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم » الآية ، فامره تعالى بلين الجانب كما أمر موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما الى فرعون في قوله : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى » .

هذا دستور الدعوة في الاسلام ، ماخوذا من القرءان الكريم ، وهو مما ينطبق عليه قوله تعالى : « ولو كان من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » فكل من حاد عنه زل ، وعدم التزام المسلمين به هو الذي يشيع بينهم الفرقة ، ناهيك بفشل الدعوة وعدم ايتائها ثمراتها المطلوبة ، ولقد شهدنا احد الدعاة الكبار الى التوحيد وكان عليه جلال ووقار ، والمظهر كما لا يخفى له تاثير بليغ في النفوس ، ومع ذلك راينا الناس يتحامونه ويشيرون اليه بما ينفر منه ، لانه لم يكن ياخذ بهذا الادب القرآني ، ويواجه الناس بما يكرهون ، فيبدا وينتهي بتكفيرهم ، لا يقول هذا شرك بل يقول يا مشركون ويا اسفي على ما ضاع معه من علم ورواية بسبب تشدده وغلظته . وشهدنا داعية آخر كان ذا وجاهة ونفوذ ، والناس عادة لا يميلون الى من كان كذلك ، ولكن القضية معه كانت معكوسة ، فقد اقبل الناس عليه اقبالا شديدا ، خاصتهم وعامتهم حتى العلماء وشيخ الجماعة اذ ذاك كانوا يحضرون مجلسه ، وكان يدعو الى التوحيد والى السنة ، ويقول كل ما كان يقوله سابقه . الا ان الاسلوب يختلف مع مزيد علم هذا على ذاك ، وعن هذا الشيخ ودعوته التي كانت على النهج القرآني المذكور ، انتشر توحيد الربوبية في المغرب ، فكف كثير من الناس عن مظاهر الشرك التي كانوا منغمرين فيها ولا سيما في قصد الاضرحة والاماكن التي يقال ان لها تاثيرا او على الاقل بركة تلتمس ، وانقطع الكثير منهم عن المشاركة في المواسم القبورية التي تقام هنا وهناك ، وكانت المشاركة فيها من علامة التقوى والصلاح ، بل ان بعضها الغي ولم يبق به عمل ، وعنه ايضا انتشرت سنة القبض في المغرب وكانت غير معمول بها اطلاقا ومن اخذ بها من المشايخ عند زيارته للمشرق لم يقتد به احد الا خاصته ولم يسلم من الانتقاد والرد عليه ، وهكذا يظهر للجميع ان دستور الدعوة القرآني ، كما كان عاملا في نشر الاسلام منذ البدء ، ما يزال على فعاليته في نشر الدعوة وقبولها من لدن الكافة ، ولا تبديل لكلمات الله .

ولم تكن السنة النبوية وهي التفسير الرسمي للكتاب العزيز ، بمقتضى قوله عز وجل : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » . اقول لم تكن السنة بمنأى عن امر الدعوة ، فقد جاء في الحديث الشريف مما ينسجم مع الآية الاولى في الحض على القيام بالدعوة قوله (ص) : « لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس» وفي معنى الآية الثانية من ادب الدعوة قوله عليه السلام : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » والآيات والاحاديث في هذا الباب كثيرة . وانما اقتصرنا على بعضها لنتخلص الى المطلوب من وجوب الدعوة على العلماء وفق ما جاءت به النصوص ، ومن ثم انطلق علماء المغرب كغيرهم من علماء سائر الاقطار الاسلامية الى القيام بهذا الواجب ، فلم

يقصروا عن غاية ولا يزالون كذلك ان شاء الله تحقيقا لخبر المعصوم (ص) القائل : « ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله » .

ومن الانصاف أن نقول ان العلماء ما قاموا بواجبهم في التبليغ الا وكانوا دعاة ، فان المحافظة على احكام الشريعة الغراء لا تكون الا بمعرفتها ، وتعريف الناس باحكام الدين وشعائره من عقيدة وعبادة ومعاملة ، هو من باب التوعية والتبليغ عن صاحب الشرع عليه السلام الذي قال : « بلغوا عني ولو آية » ذلك ان هذا الدين الحنيف لم يات الا بما يطابق الفطرة والعقل والمصلحة وما يوفق بين مطالب الجسد والروح ، فمنه عليه دليل لا سيما ان لقن من مصادره الاولى الكتاب والسنة ونصوصهما التي تلج القلب من غير استئذان وتصل الى اعماق النفوس فتملؤها نورا وهدى واطمئنانا ، ولقد كانت مجالس العلم تملأ ساحات المساجد في مدن المغرب وواديه ، والناس يتوافدون اليها فيتفقهون في دينهم وتتهذب اخلاقهم وتحسن معاملاتهم وينشئون أولادهم على ما يرضي الله ورسوله ، وكان يقال في احدى الحواضر ان عامتها اذكر للمسائل من علماء غيرها ، وذلك لكثرة مجالس العلم بها وشدة ملازمتهم لها ، فهؤلاء العلماء كانوا دعاة مخلصين ، وبفضلهم بقيت هذه الاثارة من العلم والايمان في بعض العوام وان كانت تتقلص يوما فيوما .

لكن الدعاة الذين نصبوا انفسهم للدعوة ، لا للتبليغ فقط ، كان تاثيرهم اقوى ونفعهم ابلغ ، وهم انما يظهرون في الفينة بعد الفينة ، حين يكون حال الناس يستدعي ظهورهم لما ينتشر بينهم من بدعة ، أو يموت فيهم من سنة ، وعندما يغلب الشر على الخير وتعم الفتنة بالدنيا وما يجر اليها ، كما هو الحال الآن ، هناك يكون قيام الدعاة أمرا لا معدى عنه لانقاذ الموقف وتبصير الناس بما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتجديد الدين بعبارة اجمع واوضح كما جاء في الحديث الشريف : « ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها » على ان مفهوم العدد في الحديث هنا غير ملزم ، او هو متعلق بالمجدد الاكبر كما هو مبين في محله ، وقد اختلفت الاقوال في المراد بتجديد الدين ، وبعض المفتونين في هذا العصر ظنوا ان كل ما طابق هواهم، واستخف الناس من باطل الحضارة الغربية هو مما ينبغي تبنيه وادراجه تحت أسم التجديد ، فهذا يريد تغيير احكام الزواج والطلاق ، وهذه تريد مراجعة احكام المواريث ، اعتبارا بما قررته بعض القوانين الاجنبية في هذا الصدد ، ولربما يقوم بتغيير احكام الصلاة فيجعلها مرة في الاسبوع أو احكام الصيام فيحدده بيوم أو يومين في السنة ويبيح فيه تناول بعض الماكولات والمشروبات على غرار الصلاة والصيام عند أمم الحضارة المزعومة ولكن الامر كما يقال في المثل : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » فالتجديد جاء بيانه في حديث شريف مناطا بمن هم اهله من اهل العلم والدين قطعا لكل تقول وسدا للطريق في وجه مدسوس واغل ، والحديث المقصود هو قوله (ص) : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

والخلاصة أن الدعوة محصورة في أهل العلم ، فهم الدعاة وهم المجددون ، لا يقبل من غيرهم قول ، ولا يسمع لاحد سواهم فيها كلام ، فهم الذين وكلت اليهم منذ طلبت من الامة ، وهم الذين شهد لهم النبي (ص) بالعدالة في هذا الحديث فلا يلحقهم بعده تجريح وهم طائفتان مبلغون وقائمون بالحق عند ظهور الباطل ، وكل على هدى من الله ، واذا كانت جماعة التبليغ هي الكثرة ولم تنقطع منذ دخول الاسلام الى المغرب ، فان الجماعة الثانية كانت قلة دائما لان مهمتها صعبة ولانها انما توجد عند الاقتضاء، فحينما تكون الامور عادية لا يتطلب الحال من العلماء الا التوعية والتبليغ تعليما وارشادا ، عملا بقوله تعالى : « وذكر فان الذكرى تنفع المومنين » ولكن عند الانحراف عن الجادة وظهور البدع وعموم الضلالات ، فان الوضع يتطلب ما هو اكثر من التبليغ والتذكير ، اعني التجنيد والمرابطة والجهاد للقضاء على البدعة والزيغ والالحاد اقتداء به (ص) ونهجا على طريق السلف الصالح واخذا بقوله عز وجل لنبيه الكريم : (وجاهدهم به « اي بالقرءان » جهادا كبيرا) وليست هذه الا مهمة الدعاة .

وقد اختلفت مهمة الدعاة في المغرب باختلاف الاوضاع ، فالمولى ادريس رحمه الله عند قيامه واجه انتشار مذهب الخوارج الصفرية فلم يهدا له بال حتى قضى عليه في معارك طاحنة ، وعبد الله بن

ياسين بعد ارسائه لقواعد الاسلام التي كانت متداعية في قبائل المرابطين ، انتدب لغزو برغواطة في بلاد تامسنا ، وكانوا اصحاب نحلة فاسدة ، قد ادعى متبوعهم المسمى صالح بن طريف النبوة ، وتسمى بصالح المومنين ، فجرت بينه وبينهم حروب عظيمة استشهد في اثنائها ، ولكن المرابطين لم ينثنوا عنهم حتى ابادوهم ، وطهروا البلاد من رجسهم .

والموحدون قاموا باحياء السنة والعمل بالحديث بعد ان كان الفقه الساذج قد طغى على الدراسات الاسلامية وصارت كتبه هي المرجع الاول والاخير ، فناضلوا بالجدال والقتال حتى ظهرت كتب الحديث وتداولها الناس واعتمدوها في الفتوى والعمل ولحقت كتب الفقه بعد ذلك بالادلة السنية ، والاحاديث النبوية ، عند العودة اليها في العصر الذي تلا عصرهم ، وكان ذلك من حسناتهم على انهم في غير هذا المنحى قد سجلت عليهم انحرافات وابتداعات مما جاء به داعيتهم ومهديهم المهدي بن تومرت .

ومن احسن ما يروى عنهم في هذا الصدد ما حكي عن الحافظ ابي بكر بن الجد انه لما دخل على يوسف بن عبد المومن اول دخلة وجد بين يديه كتاب ابن يونس فقال له يا ابا بكر انا انظر في هذه الآراء المتشعبة التي احدثت في دين الله ، ارايتم يا ابا بكر المسالة فيها اربعة اقوال او خمسة اقوال او اكثر من هذا ، فاي هذه الاقوال هو الحق ، وايها يجب ان ياخذ به المقلد ؟ قال ابو بكر : فافتتحت ابين له ما اشكل عليه من ذلك ، فقال لي وقطع كلامي .. يا ابا بكر ليس الا هذا ، واشار الى المصحف ، او هذا ، واشار الى سنن ابي داود وكان عن يمينه ، او السيف .

وفي عهد المرينيين ظهر داعية من طراز آخر هو ابن الحاج الفاسي صاحب كتاب المدخل ، ودعوته كانت ترمي الى تصحيح اعمال الناس بعرضها على السنة وحملها على مقاصد الشرع نية وعبادة ، ومنها اشياء استهان بها الناس وهي مما لا يستقيم امره على اصل من اصول الدين ، وكان يقصد الرجوع بالمجتمع الاسلامي الى ما كان عليه ايام السلف الصالح والعهد الاول ، وبما ان اكثر اقامته كان بمصر فان دعوته لم تقتصر على المغرب بل شملت المشرق والمغرب معا . واثر كتابه في اصلاح الحياة الاجتماعية للمسلمين تاثيرا بليغا ، ثم ظهر بعده الشيخ احمد زروق ، وهو مصلح كبير شملت دعوته العلماء والصوفية ، العلماء الذين مالوا مع الدنيا والولاة ، وصار كل ما يحرصون عليه هو الحصول على المراتب والمخصصات ، والصوفية الذين كثرت دعاويهم واشتغلوا بالمظاهر وجمعوا الناس عليهم لاقامة الناموس الذي يحميهم هم ومن تعلق بهم من الاعتراض والافكار .. ولكنه لم يبال ان يقول كلمة الحق في الطائفتين معا ، ويغير المنكر ويحارب البدعة ، ويزن اقوال القوم واعمالهم بميزان السنة ويعرف بما فيها من غلو ومجانفة لاحكام الشرع ، ولا يدع اشكالا او احتمالا من دون ان يتعرض له ويوضحه بما يزيل ما يلفه من غموض او ابهام ، ولو تعلق بمن تقررت منزلته وعرفت مكانته عند الخاصة والعامة من الشيوخ ، ولذلك اطلق عليه محتسب العلماء والاولياء ، اعتبارا بما كانت وظيفة الحسبة تقوم به من حمل الناس على الجادة وتغيير المنكر في الاسواق والحمامات والطرقات وغيرها ، فتلك حسبة الدولة على ما يظهر في المجتمعات من تجاوز لحدود الشرع وآداب الاسلام ، وهذه حسبة الدعوة على ما يرتكبه رجال العلم والدين من مخالفات لشرائعه ومبتدعات في شعائره ، وهي المقصود بقوله (ص) في الحديث الذي روته عنه عائشة (ض) من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد .

وفي القرن العاشر قام بشمال المغرب داعية فريد هو الشيخ عبد الله الهبطي ، وصفه غير واحد من العلماء بالمجدد ، وكان يدعو الى التوحيد وفهم مدلول الشهادة والف في المعنى عدة تآليف ، وكانت سيرته الذكر والذكرى وبذل النصح لكافة الورى ، وله الفية مشهورة باسمه عامرة الابيات بالنصح والارشاد وذم البدع الشائعة في الوقت وما عليه متصوفة الزمان والطلبة من المنكرات والمحظورات.

وفي العصر العلوي راينا العلامة المساوي يقوم بالدعوة الى سنة القبض في الصلاة واحياء هذه الشعيرة بعد ما اميتت ويناضل عنها نضال اهل الاجتهاد ، وذلك في وسط كان لا يعرف الا كراهيتها وينكر سنيتها . وعرفنا السلطان المصلح سيدي محمد بن عبد الله يقوم باصلاحات عظيمة في مناهج الدراسة العلمية بالقرويين ، وفي القوانين العدلية ، ومن اهم ذلك الدعوة الى احياء كتب السنة والاخذ

بها ونصرة العقيدة السلفية واقرار الصفات والمتشابه على ما ورد من غير تاويل مع التنزيه ... وجاء بعده ولده السلطان مولاي سليمان فشدد الانكار على اهل البدع والطوائف الضالة ، ونشر خطبته المشهورة في ذلك . وفي منتصف القرن الثالث عشر قام الشيخ محمد كنون بدعوة اصلاحية عظيمة تناولت عدة جوانب من الحياة والمجتمع ، ففي الجانب السياسي تصدى للولاة المتلاعبين بمصالح الامة فاكثر النكير عليهم والتشهير بهم والف الرسائل المتعددة في التنديد باعمالهم ولفت نظر السلطان الى تصرفاتهم . وفي الناحية الاجتماعية كان معلنا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر يتقدم بنفسه لتغيير ما يقدر على تغييره ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، ومن ذلك حملته الصادقة على الغناء الذي كانت الامة ، قمة وقاعدة ، قد غرقت فيه قالباها عن دينها ودنياها ، فكان يصرح بتحريمه والف فيه كتابه المشهور « الزجر والاقناع بزواجر الشرع المطاع عن آلات اللهو والسماع » ، ومن هذا القبيل ايضا ما كان يذهب اليه من بطلان التسري وحكمه بانه زنى نظرا لعدم الرقيق الشرعي ، ولان المستولدات انما كن من المنهوبات من القبائل السودانية وغيرها وهن على دين الاسلام ، فلا يصح نكاحهن الا بعد اعتاقهن والعقد عليهن عقدا شرعيا وعدهن من الاربع التي لا يحل الزيادة عليهن والا كان النكاح فاسدا والاولاد المتكونون منه أولاد زنى . وهي دعوة في ذلك الوقت لها خطورة عظيمة ، لان الناس على اختلاف طبقاتهم من الاعلى الى الادنى كانوا يستحلون هذا الامر ... وقد جلب عليه ذلك عداوات وخصومات ، واوذي بسببه فطعن في عرضه ونسبه وأدخل السجن ولكن الجماهير الشعبية تعصبت له وخرجت في جيش كبير احتجاجا على سجنه فأطلق بامر عال في الحين.

وفي الناحية الدينية كان كثير الانكار على متصوفة عصره واصحاب الدعاوي الباطلة في المشيخة والطريق ، وربما هجم عليهم في تجمعاتهم وحلقات رقصهم فيفرقهم بيده ، وبما يتجلى فيه من حال ربانية لا يقدر احد على الوقوف في وجهه من اجلها ، ويامر طلبته ورفاقه بصب الماء على المكان الذي كان القوم يرقصون فيه تطهيرا له ، ويقول انها عبادة السامري ، وله في ذلك تآليف وكتابات متعددة الى غير هذا من اقواله واعماله في جميع المجالات التي ذكرناها ، وكان من أول من انكر الحماية الاجنبية على الذين تحصنوا بها في زعمهم من ظلم الولاة . وصرح بكفر احد الشخصيات الذين ينتمون الى بيت كبير من بيوتات المغرب لما استظهر بحماية احدى الدول التي كانت طامعة في المغرب ، وهذا بالاضافة الى عمله المتواصل في نشر العلم والمعرفة الصحيحة بالتدريس والتأليف والتلقين في مجالسه الخاصة والعامة .

توسعنا قليلا في بيان دعوة هذا الشيخ ومجالاتها لغفلة كثير من الكتاب عنه بسبب اهمال خصومه لذكره وتعمدهم تجاوز حركته .

وفي اوائل هذا القرن عاد الشيخ عبد الله السنوسي الفاسي من رحلة له واسعة في الشرق العربي والهند وتركيا ، وقام بدعوة صادقة الى التوحيد والعمل بالسنة . وكان ذا قوة وعزيمة في ذلك ، وبعده انتصب الشيخ ابو شعيب الدكالي للدعوة في دروسه العلمية التي كان يلقيها بعواصم المغرب وغيرها من المدن التي يزورها ، وذلك بما آتاه الله من بسطة في العلم وحكمة وحسن تات للامور ، فعمت دعوته جميع الاوساط وآتت اكلها طيبا سواء بالنسبة للتوحيد او العمل بالسنة ، والتف حوله كثير من علماء الشباب وغيرهم وتخرج به افواج عديدة من الطلبة الذين بثوا دعوته في كل مكان . وكان من اكبر تلامذته الذين رفعوا الراية بعده الشيخ محمد بن العربي العلوي وهو من العلماء المتمكنين الذين واصلوا الدعوة بقوة ايام حياة الشيخ شعيب وبعده ، وكان في فاس مرجع الشباب الناهض وقدوة العاملين في ميدان الاصلاح .

وجاء جيلنا الذي تبنى الدعوة الى السلفية في العقيدة والعبادة والنضال من اجل رفع راية الاسلام وايجاد الارضية التي تقوم عليها دولته ، حرة من كل تدخل ومستقلة عن كل تحكم .

وهكذا انقلبت الدعوة الى اصلاح عام وجهاد في سبيل العزة والكرامة على ما كان عليه الامر ايام السلف الذين أعلى الله بهم منار الاسلام وجعل المسلمين يدا على من سواهم . وكان من أبرز دعاة السلفية بهذا المعنى المرحومان علال الفاسي ومحمد غازي والاساتذة محمد المكي الناصري ومحمد الطنجي وابراهيم الكتاني ، واتصلت حركتنا بالشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر واخدانه من اعضاء

جمعية علماء المسلمين بالجزائر وكتبنا في صحفهم وايدناهم في المعارك التي كانوا يخوضونها في هذا الصدد كما ايدونا في معاركنا المتنوعة .

واعتضدت الدعوة في الاخير بداعية كبير كان مقيما في البلاد المشرقية ، حين عاد الى موطنه المغرب ، وهو الدكتور محمد تقي الدين الهلالي فيسر الله على يده فتوحات مهمة في جيل الشباب والشيوخ على السواء ، وتمرس به اساتذة وطلاب صاروا من جند الدعوة هنا وهناك .

ان هذا العرض السريع ، وان لم يستوعب جميع الدعاة ، يبرز دور العلماء المغاربة في الدعوة بكل وضوح ، فهو دور فعال كان له تاثير بالغ الاهمية على حياة الاسلام الصحيح في هذه البلاد وفي البلاد التي تسبح في فلكها من غرب افريقيا وما والاها سواء على نطاق التبليغ او الدعوة الاصلاحية التي ترمي الى التجديد بالمعنى الذي أشرنا اليه سابقا ، ولا ننسى فضل جامعة القرويين ورجالها المصلحين في ذلك ، فانها ما فتئت تستقبل الافواج تلو الافواج من اقطار افريقيا ، فضلا عن أبناء المغرب فتكونهم تكوينا علميا صحيحا وتبعثهم رسل هداية وارشاد الى اوطانهم وديارهم حيث يؤدون واجبهم على احسن وجه ، وباخلاص تام . وبذلك حفظ رمق الاسلام وبقيت تعاليمه تتحدى مؤامرات الصليبيين وغزو الملحدين في العهد الاستعماري البغيض الذي اطبق على القارة السمراء منذ القرن المنصرم وقبله الى اواسط القرن الحالي .

وهذا ما يجعلنا نهيب برجال الدعوة اليوم الى النهوض باعبائها الثقال واداء دورهم على الوجه الاكمل كما فعل من قبلهم لا سيما والتيارات الالحادية قد اصبحت اقوى من ذي قبل ، ودعاة التنصير يبذلون قصاراهم في تحويل المسلمين عن عقيدتهم او تشكيكهم فيها على الاقل في المرحلة الاولى ، فامام العلماء ميادين عديدة مفتوحة للعمل والجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، واهمها الميدان الذي يخوضون فيه معركة الايمان والمحافظة على العقيدة الاسلامية مما تتعرض له من تسور هذه المذاهب المادية على حرمتها ومنازلتها لها في المدرسة والنادي والمكتبة والسينما وغيرها من الوسائل الاعلامية والتثقيفية المختلفة التي أشربت روح العصر بكفرها والحادها عن قصد او عن غير قصد ، وذلك في الداخل والخارج ، فأما في الداخل فلا كلام في وجوب ذلك ، واما في الخارج ونعني به الاقطار الافريقية الشقيقة ، فعلى بعثاتنا التعليمية لها ان تجعل هذا العمل هدفها السامي كما كان اجدادنا حملة الدعوة الاسلامية اليها ، فلنكن نحن حفظة على هذه الامانة بحمايتها ودفع اليد العادية عنها . يلي ذلك ميدان تجديد الدين والدعوة الى العمل بالكتاب والسنة ومحاربة البدع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلقد استطاع جيلنا ان يقضي على كثير من المحدثات ويطهر الدين مما الصق به من المنكرات ، فاختفت عدة مواسم مما كان يقام على أضرحة بعض الصالحين فيختلط فيها الحابل بالنابل وتقوم سوق الفسق واختلاط النساء بالرجال على قدم وساق ويرتكب باسم الدين من المخازي ما يندى له الجبين ، وذلك كموسم الشيخ ابن عيسى بمكناس وموسم بوعراقية بطنجة ، وها هي هذه المواسم تحيى من جديد وتستحدث مواسم اخرى تشبهها أو تفوقها . وما ذلك الا من ضعف الدعوة وتخاذلها امام المشعوذين والمتاجرين بالدين ولعل ما بين الدعاة من خلاف وعدم تفاهم ، واعني العلماء على العموم ، هو السبب في الرجوع في حافرة الجاهلية . فان من آفة الدعوة ان يكون الجو بين اصحابها غير صاف ، فيشتغلون بالمقاسف عن الحقائق . وما انتصر جيلنا الا لانه كان على قلب رجل واحد فلم يكن بيننا خلاف في الوسائل ولا في المقاصد ، وذلك ما ينبغي بل يجب ان يعود اليوم ويسود علاقات الدعاة بعضهم ببعض . وفي النهاية يجب ان يستمر العمل في ميدان التعليم والارشاد والتبيين والتبليغ عملا بقوله عز وجل : « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » فان المساجد الفارغة من حلقات العلم حجة على تقصير العلماء وتقاعسهم عن القيام بمهمتهم الاولى التي تنقذ العوام من الجهل بضروريات دينهم ، وتبني المجتمع الاسلامي على اساس الاخلاق الكريمة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لاتمامها . فما ظهر الانحلال الخلقي في المسلمين وتفشي الالحاد بين شبابهم الا بهجرة المساجد التي تجمع القلوب على الله وعلى دينه القويم ، وعمارة المساجد انما تكون بالعلم ومجالس الذكر التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة

وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) بل ان الصلاة نفسها ما تركت الا من ترك العلماء لواجبهم في تعريف الناس بما لهم وعليهم ، ولقد اصبح هذا الامر متحتما على كل عالم عالم ، سواء كان ممن يتعاطى مهنة التعليم في المدارس والمعاهد او يتولى خطة القضاء او كان فارغا من العمل الوظيفي ، لان تعليم الطلبة قاصر عليهم ، ولا ينتفع العامة من القائم به ولا يسقط عنه التكليف الذي الزمته به الآية الشريفة الآنفة الذكر وهي قوله تعالى : « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ، ومثل ذلك يقال في القاضي فان فصله بين الخصوم لا يعفيه من زكاة العلم التي هي التعليم، والا كان هو ومن ذكر قبله كاتمين ، ومن كتم علما الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة ، والقضاة فيما سبق كانوا اسبق الى عمارة المساجد بالخطابة وحلقات العلم ، واما الذي لا يتعاطى عملا من العلماء فمسؤوليته أعظم ولا يبرىء ذمته الا ان يؤدي ما هو مكلف به من التبليغ والبيان على اتم وجه واكمله .

نسأله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويقينا شر انفسنا بمنه وكرمه آمين .

رابطة علماء المغرب تحتفل بمطلع القرن 15 هـ في رحاب جامع القرويين

● اقامت رابطة علماء المغرب حفلا دينيا كبيرا بجامع القرويين بفاس بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري . وقد حضر الحفل العلماء المغاربة من مختلف الفروع بالمدن والاقاليم ، وجمهور من المثقفين والاساتذة وحشد كبير من المؤمنين والمؤمنات ●

في الدعوة والدعاة

عبد الله كنون

الكلام على الدعوة والدعاة أصبح من المعاد المكرور بعدما كتب فيه من المقالات ووضع عنه من المؤلفات. وإذا كان الاعتبار بالأعمال لا بالأقوال فالأمر كما يقول البُصيري:

وإذا البينات لم تغن شيئا

فالتماس الهدى بهن عناء

ولعل أعظم ظاهرة تلاحظ على الدعوة والدعاة في الحقبة الراهنة، هي إلباس الإسلام لباس التفسير المادي والتعليل الإيديولوجي المستورد الذي كان يلجأ إليه بعض المصلحين في فجر القرن الرابع عشر المنصرم للرد على خصوم الدين الحنيف، وتزييف اتهاماتهم له بمجافاة سنن التطور وعدم مجاراة الحياة العصرية، وكان ذلك ضرورة لإفهام الخصم وتثبيت بعض الشباب المتعلم بالغرب على العقيدة الإسلامية التي ربما زعزعتها شبه الماديين الملحدين.

ومع ذلك فإن العلماء المصلحين، لم يكونوا يتعمقون في الاستدلال والاحتجاج بما يجعل الدين يكتسي صبغة المادية المطلقة، وإنما يأتون بما يضطرون إليه مما يومن به المتمردون على الحق وعلى المغيبات التي ينكرونها، ليلزموهم ويبطلوا دعاويهم، فآل الأمر الآن إلى تجاهل الناحية الروحية بالجملة والتفصيل واعتماد التفسيرات المادية والجنوح إلى الشروح العلمانية كما يسمونها، وهي التي ليس للعلم الصحيح فيها حظ ولا نصيب، حتى أصبح الدين مادة محضا وتجربة رياضية يستبعد عنها كل ما ليس محسوسا وما لا يدخل المختبرات الكيماوية، ومن ثم لم يبق مستغربا أن يرفع الكثيرون من المغرورين شعار (العلم لا يعترف بالدين) أو (أن حقائق العلم وتعاليم الدين متضادتان)، ومنهم من يتأفف من ذكر النار وعذاب الآخرة، ويعد خطيب الجمعة الذي يروي أحاديث الحساب والصراط وجهنم خطيبا متخلفا منفرا مقنطا من رحمة الله.

إن هذا الشيء واقع يعلمه الجميع، ونسمع ما يدل عليه من أكثر من مسرف على نفسه، ونقرأ في الصحف اليومية من حين لآخر ما يشعر به ويزري على العلماء الذين ما يزالون يفهمون الدين على أنه سوط عذاب يصب على المتدينين صبا، بل إن واجهات المكتبات، تتكدس فيها المؤلفات الجديدة التي تحمل أسماء إسلامية وهي في جوهرها إنما تعكس أفكارا اشتراكية وماركسية مغلفة بشرع الإسلام ودعوى

الإسلام، وبعضها لا يخجل أصحابه من تسميته باشتراكية الإسلام أو الإسلام الاشتراكي وما أشبه ذلك، لأن الغزو الفكري والإديولوجي الأجنبي قد ملأ شعاب النفس عند الناشئة العصرية، فبات من المسلّم به أن ينزل الدعاة المهزوزون على إرادتها وترضيها بأكثر من زجه لتصحيح نظرها.

على أن بعض الكتاب من أصحاب هذه المؤلفات هم ممن يترضون الحكام الذين يصطنعون أنظمة الحكم الأجنبية من ديمقراطية واشتراكية ويزعمون أنها تستمد مبادئها من الإسلام تضليلا لشعوبهم وخداعا لهم، حتى الذين يدورون في فلك الشيوعية ويسمونها بغير اسمها لا يعرفون من يزكي عملهم ويحمله على الإسلام حملا رغبة ورهبة، وتزلفا وطمعا.

والذي لا يحقق الأمور يرى واجهات المكتبات المشار إليها، فيعتقد أن الدنيا بخير وأن الدراسات الإسلامية في نمو وازدهار، وقد أثرت الخزانة الفقهية والعقائدية بمآت الكتب والمؤلفات القيمة، والحقيقة في ذلك أشبه بما جاء في الحديث الشريف: "الناس كإبل مئة ليس فيها راحلة".

هذا من جهة ومن جهة أخرى أصيبت الدعوة بدعاة ضررهم أكثر من نفعهم، وهم ممن أعدوا لهذه المهمة إعدادا وابتعثوا من طرف مؤسسات إسلامية أو حكومات محترمة، فضلا عمن انتصبوا من تلقاء أنفسهم للدعوة بالداخل والخارج، وكانوا قبل قليل أفرادا يعدون على أصابع اليد الواحدة فلم ينتبه إليهم أحد، وإن حصل أن تبعهم بعض الناس فلم يكن بذلك بأس، لاسيما وهو ممن عرف بالعلم ومتانة الدين، فلا يخشى على من تبعهم فتنة.

هؤلاء الدعاة هم الذين يتبجحون بإتباع السنة ويرمون غيرهم بالابتداع، ويفرقون بين المسلمين ولا يصلون خلف الأئمة المرتبين في المساجد، يطعنون فيهم بطعون مختلفة، ويصلون خلف العوام من أصحابهم وإن لم يحسنوا قراءة الفاتحة فأحرى ما دونها، وإن تمكنوا من إحداث مساجد خاصة بهم لم يعودوا يعرفون المساجد الجامعة، وربما منعوا غيرهم من ارتياد مساجدهم المحدثة، كما يقع ذلك كثيرا في بلاد الغربة بأوربا، وتحدث عن ذلك مشاجرات ومضاربات تؤدي أحيانا إلى تدخل الشرطة الأجنبية واقتياد المتنازعين إلى القسم حيث تحرر لهم محاضر ويرفعون إلى المحاكم.

ولا يفهم من السنة التي يدعون التمسك بها، السنة المعتبرة شرعا الثابتة بالرواية الصحيحة، بل مسائل الخلاف المذهبي التي أخذ الأئمة المجتهدون المقلدون في العالم الإسلامي، كل بما ثبت عنده فيها أو

رجح في نظره مما لا دليل عليها قاطعا، وهي التي تختلف فيها المدارك ولا يكون قول هذا الإمام أولى من قول ذلك ولا أحق بوصف السنة من مقابله.

لكن هؤلاء المتعصبين لا يتورعون عن وصف مذهبهم بالسنية ووصم غيره بالبدعة فيحدثون في نفس أتباع المذاهب الأخرى بلبلة وارتباكا، وترجع هذه الفئة إلى فقهائها فيصححون لها ما هي عليه، وتنشأ الجفوة ويبدأ الخصام الذي يصل إلى الطعن في الأئمة وتجهيلهم، ناهيك بالعامة إذا ظنت أنها على شيء من العلم، إذ يصبح المندوب واجبا والصلاة باطلة لتركه، هذا على تسليم أنه مندوب وما هو إلا اجتهاد يحتمل ويحتمل.

والاجتهاد إنما يكون

في كل ما دليله مظنون

ولئن كان علماء الإسلام المجتمعون في مؤتمر القدس، منتصف القرن الماضي، قد قدموا للصلاة بهم الشيخ آل كاشف الغطاء، وهو شيعي، فأغلقت بذلك المحاريب التي كانت تختص ببعض المذاهب في المساجد الكبرى بالمشرق كالأزهر والأموي، فمن المؤسف أن هؤلاء "السنيين" المزعومين يريدون إحياءها الآن بجماعتهم الخاصة في المساجد العمومية أو بمسجد ينفردون به عن جماعة المسلمين، فهل نحن نسير إلى الأمام أو نمشي على القهقرى؟

وقد أثرت هذه الظاهرة التنطعية على علاقات الجاليات الإسلامية في بلاد الغربة، ما لم تؤثره من قبل الانتماءات الطرقية والقبلية، وانعكست آثارها على الصحافة الأجنبية التي كتبت عنها منتقدة ومتحرشة بالإسلام على عادتها ولا غرو فقد قال عروة بن الورد منتقدا ما ينصح به أهل خيبر من يريد النجاة من حماها:

وقالوا أحب وانهق لا تضرك خيبر

وذلك من (دين اليهود)ولوع

لعمري لئن عشرت من خشية الردى

نهيق حمير غنني لجـــزوع

فنسب هذه الخرافة إلى دين اليهود من غير أن يعني نفسه بمعرفة ما هو من دينهم وما ليس منه، لأنه رآهم يفعلونه.

وهكذا قال أحد المسلمين الجدد بفرنسا، متضجرا من خلافات المسلمين التافهة: إنني أسلمت إسلام الوفاق ولم أسلم إسلام الخلاف، وهذه المسائل إما أن تكون واجبة فلا يجوز مخالفتها، وإما أن تكون غير واجبة فلا يجوز أن ينكر بعضكم على بعض بسببها.

وإذن فعلينا أن ندبر أمر الدعوة والدعاة على الميدان لا على الورق، ونحسم العمل بالنسبة للصنف الأول من الدعاة فنتعقبهم ونقعد لهم كل مرصد ونطهر الساحة من تظاهراتهم وإنتاجهم واستغلالهم لاسم الإسلام وهم يضربونه في الصميم. أما بالنسبة للصنف الثاني من الدعاة الذين يسمون أنفسهم بالسنيين فليس يكفي أن يوفر الشخص لحيته ويحلق شاربه ويحمل في طوقه عود سواك، ليقول لنا أنه داعية، فنوكل له العمل في مركز إسلامي أو نعينه إماما في مسجد أو أستاذا في مدرسة، حتى نختبر علمه وسلوكه وفهمه لروح الإسلام والإصلاح الاجتماعي الذي جاء به، ونتأكد من أن قصده هو الإرشاد لا الارتزاق ونلقنه طريقة البلاغ التي كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعها ويأمر بها، وهي التي تجمع ولا تفرق وتهدي ولا تضل، فلا يكون ممن يأتيهم السائل بمشكل فيردوه بعدة مشاكل أو من يوسوس له الشيطان فيكونون عونا له عليه، والخلاصة أن يكون منطلقه الدائم هو قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، وقوله عليه السلام: "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة" وبالله التوفيق لا رب سواه ولا نعبد إلا إياه.

دعوة الحق العدد ٢٥٣ اكتوبر نونبر دجنبر ١٩٨٥

حول وقعة وادي المخازن

للأستاذ عبد الله كنون

● نشر الاستاذ الكبير عبد الله كنون هذين المقالين بمجلة « الانوار » التطوانية في غشت 1952 ومجلة « لسان الدين » في غشت 1955 . اي قبل استقلال المغرب وعودة جلالة المغفور له محمد الخامس الى ارض الوطن بثلاثة شهور لا اقل ولا اكثر . وهي فترة دقيقة من تاريخ المغرب الحديث تميزت بحدة الصراع بين القوى الوطنية المؤمنة بالاسلام والعروبة والشرعية المتمثلة في صاحب العرش المغربي السلطان سيدي محمد بن يوسف ، وبين جحافل الشرك والصليبية الحديثة المتمثلة في الاستعمار الاجنبي لبلادنا . ولعل هذا يتضح جليا من خلال مقدمة المقال التي تتضمن كشفا للواقع المغربي آنئذ ونقدا وطنيا مخلصا .

ونشير الى ان الاستاذ كنون نشر هذين المقالين بعد ذلك ضمن مجموعة مقالات قيمة في كتابه « خل وبقل » .

— 1 —

اظن انه ليس هناك ناحية من نواحي العمل الادبي والخدمة الاجتماعية والاقتصاد والفن لم نولها حظا كبيرا من الاهمال لا نظير له في أمة من الامم قديمة كانت أو حديثة وقد نسج العنكبوت خيوطه عندنا على كل باب من أبواب النشاط الفردي والجماعي للامة ، فلا ترى الا غبارا متراكما على كل مرفق من مرافق الحياة لشعب يريد ان يجاري الشعوب الراقية في جميع الشؤون .

وباستثناء العمل السياسي الذي يضطلع به نفر من المجاهدين الابرار داخل البلاد وخارجها ، فاننا اصبحنا نمثل مدينة الاموات بحيث تركنا الميدان فارغا لكل صادر ووارد فلا تسمع لنا نأمة ولا نتظاهر بمظهر يدل على أن رمقا يجري في عروقنا فتؤمل لنا الحياة من جديد .

ولقد كنت أرى اننا في الميدان الثقافي نكاد نكون عالة على التاريخ . أي اننا نعيش في الماضي اكثر من الحاضر ؛ فكتابنا وشعراؤنا ومؤلفونا لا يزيدون على أن يجتروا ما قرؤوه ولم يهضموه من نصوص ادبية وابحاث علمية وتاريخية ، وكنت اقول انه لا بد في مستهل نهضة الامة من النقل والحكاية والاقتباس حتى اذا تفتحت العقول وتلقحت الافكار سالت الاقلام وجادت القرائح بالطريف والجديد ، ولكني صرت اعتقد الآن اننا لسنا بسبيل من التاريخ ولا من الواقع ، واننا نمر بآيات مجدنا ونحن عنها معرضون . وننغض رؤوسنا لكل داعية يدعونا الى ما فيه نجاحنا كأننا بالبعث مكذبون .

ولا اذهب بعيدا بالقارىء الكريم ، فهذه وقعة وادي المخازن الشهيرة التي كانت من الوقائع الفاصلة

في تاريخنا القومي والتي قضت على سياسة التدخل الاجنبي قضاء مبرما ، فلم ترفع راسا بعدها مدى قرون ، هذه الوقعة لا نرى اهتماما بها في حياتنا الاجتماعية ولا نسمع لها صدى في انتاجنا الادبي كأنها حادث عادي يتكرر وقوعه كل يوم ولا يلفت نظر احد من الناس ، مع أن الحوادث العادية قد تكون موضع اهتمام وتعليق من ذوي النظر الصائب والفكر الخالق ! فكيف بحادث هام لم يشتمل التاريخ المغربي المجيد على عدد اصابع اليد الواحدة من نظائره .

وبينما نحن ازاءها على هذا الحال ، نرى وفود البرتغاليين كل عام تحج الى موقعها بالعشرات بل المئات . ما بين شيب وشباب . ومدنيين وعسكريين ، ورجال دين يقيمون الصلوات ويرفعون الانصاب . ويخطون ويصورون ، ويضعون الدراسات ويستخلصون العبر ، شأن الامم الحية التي تعني بماضيها كما تعني بحاضرها وتستفيد من نكباتها وعثراتها كما تستفيد من فتوحاتها وانتصاراتها .

وكأني بمتشدق يقول انهم اذا اهتموا بها هذا الاهتمام وحجوا لموقعها كل عام فقد كانت وبالا عليهم وسببا لادبار دولتهم . اما نحن فقد انتصرنا فيها انتصارا عظيما وطهرنا بلادنا من رجسهم ولا يستوى شعورنا نحوها بشعورهم ، وهذا الجواب على ما يقتضيه من اهمال لمواطن الفخار في تاريخنا القومي يلزمنا بالرجوع مثلهم الى تذكر ايامنا السود ومعاركنا المخسورة كوقعة « ايسلي » التي كانت فضيحة الجيش المغربي ، فنعكف على دراستها . واستخراج المثلات من حوادثها ولكننا لا نفعل شيئا من ذلك ولا نتذكر ربحا ولا خسارة . وانما نقول لم فاتنا هؤلاء ، ولم تأخرنا وتقدم أولئك ؟ ونكتفي بهذا التساؤل ولا نهتم بالجواب عنه ! .

على اننا نهمل هذه الواجبات وهي على طرف الثمام منا في بلادنا ويأتي البرتغاليون للطواف بحرم وادي المخازن من بلادهم في العدوة الاخرى ، فلا نكون مساوين لهم . ولو قمنا بهذه الواجبات حتى نرحل بدورنا ايضا الى الاندلس ونقف على مواقع الزلاقة والارك والعقاب ونتقصى عن هذه الوقعات تفصيلهم ، ونتقفى آثارها تقفيهم وهيهات هيهات !

راجعت الآثار الادبية فلم ار فيها ذكرا لهذه الواقعة الا ما كان من قبيل الاشارة الخفيفة في شعر عبد العزيز الفشتالي وهو شاعر المنصور الذهبي الذي

جلس على عرش المغرب في نفس يوم النصر وذلك حين يقول من مدح سلطانه :

عمادي الذي اوطا السماكين اخمصي
واوفى على السبع الطباق فادناني
متوج املاك الزمان وان سطا
احل سيوفا في معاقد تيجان
وقاري اسود الغاب بالصيد مثلها
اذا اضطرب الخطي من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره
تضاءل في آجامها اسد خفان
وان اطلعت غيم القتام جيوشه
وارزم في مركومه رعد نيران
صببن على ارض العداة صواعقا
أسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت
صفاة الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم
وكان كمي بالرديني طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا
هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من اللاء جرعن العدا غصص الردى
وعفرن في وجه الثرى وجه (بستان)
وفتحن اقطار البلاد فاصبحت
تؤدي الخراج الجزل املاك السودان

وهو يعني ببستان « سبستيان » ملك البرتغال . فهذه هي الاشارة الوحيدة التي وقعت في الشعر المغربي قديمه ومحدثه فيما نعرف الى هذه الوقعة المعلمة ، واللحن الموسيقي الذي ما أن ينسكب في آذاننا فنصغى له حتى انقطع فجاة وانقطع معه ذكر الوقعة بتاتا في الآثار الادبية بله الفنية التي ما زالت من قبيل المحاولات عندنا .

ولا شك ان كل ما منيت به هنا من اهمال قد عوض في الضفة الاخرى عند البرتغال ، وان كانوا هم المهزومين ، بما يجب من ترديد لذكرها في شعرهم ونثرهم وبحث طويل عريض في اسبابها ونتائجها وتخطيط لموقعها وتصوير لوقائعها مما به يظهر الفرق بين الامم التي تريد أن تحيا والتي تتمنى الحياة .

وعلى ذكر سبستيان فاني لاحظت في تواريخنا المتداولة انها اهملت حادثا مهما مما يتعلق به . وهو

نقل رفاته باذن من المنصور لدفنه ببلاده مع آبائه واجداده وكان ذلك بعد قدوم وفد من البرتغال على المنصور وتقديم طلب بهذا الصدد اليه وكان هذا الوفد أول الوفود المتلاحقة بعد ذلك التي تقدم الى بلادنا لغرض يتعلق بمعركة وادي المخازن ، وها هي لا تزال تتلاحق لهذا الغرض الى الآن .

والذي ذكر هذا الوفد هو الفشتالي في تاريخه « مناهل الصفا » والعجب من اليفرني الذي لم يذكره ، وهو لا يرد في الغالب الا من المناهل واما صاحب الاستقصا فاكثر اعتماده على اليفرني . فلذلك لم يذكره هو بدوره . ولكن أحدا نقله عن (منويل) تضمن الخبر المتعلق بذلك فلعله اكتفى به .

وهاك ما قاله الفشتالي في مناهله من مخطوطتنا الخاصة : « وخرج (المنصور) في غرة شعبان من عام ستة وثمانين وتسعمائة لظهر الزاوية من ساحة فاس حتى استكمل اهبة السفر وفرغ مما عن له ، فوفد عليه بمعسكره رسل سلطان النصارى يرغبونه في الامتنان عليهم بشلو طاغية سبستيان المواري بالقصر فتطارحوا عليه يرغبونه متضرعين ولعز الاسلام خاضعين فراى ايده الله ما في اسلام الشلو لهم والذهاب به الى بلادهم من مزيد الفخر للاسلام . وتجدد الاحزان لعبدة الاصنام ، بمشاهدته وتغيظهم برؤيته ونكايتهم بالوقوف على فريسته ، فامتن لذلك به عليهم وبغير عوض اسلمه اليهم ، بعد ان كانوا لبذل الاموال العظيمة فيه مذعنين . فجعلوه في تابوت وحملوه وساروا به فرحين ، وبمامن عليهم من اسلامه مغتبطين » .

ونص ما حكاه الناصري في الاستقصا عن منويل وهو مما يزيد اهتمام القوم الذي تحدثنا عنه بالواقعة وضوحا قال :

« وزعم (منويل) ان سبستيان هلك تحته في ذلك اليوم اربعة افراس ، وكان شابا حدثا ، وقال لاصحابه ان تروني امامكم وان لم تروني فانا في وسط العدو اقاتل عنكم . قال : وابدا واعاد في ذلك اليوم الى ان خر قتيلا . وبقي مذكورا عند البرتغاليين يسمرون باخباره . وذكره شعراء اوربا في اشعارهم ولا زالوا يذكرونه الى الآن ، وخلفه في ملكه الطاغية انريكي البرتغالي فهو الذي ولي بعده وافتدى جنازته من المسلمين ونقلها الى سبتة فبقيت هنالك الى ان هلك الطاغية انريكي وتولى على البرتغال طاغية الاسبنيول فليب الثاني فصار ملك الدولتين معا ، وهو خال سبستيان اخو امه فنقل جنازته من سبتة الى لشبونة » .

ففي هذا النقل مزيد تفصيل عن الحادثة — على عادة الاجانب في الاهتمام بالشاذة والفاذة ، الا انه لا ذكر فيه للوفد وفيه مع ذلك درك على (منويل) لزعمه أن تسليم الرفات كان بالفداء اي بتعويض والذي ذكره الفشتالي انه كان بغير عوض امتنانا من المنصور عليهم مع استعدادهم لبذل الاموال العظيمة في ذلك ، والفشتالي أثبت في هذا الامر لمباشرته ومشاهدته وهمة المنصور واصول الدبلوماسية تؤيد ذلك .

ويلاحظ انه لم يكن بين وصول الوفد البرتغالي وتاريخ المعركة الا شهران فقط ، فانها كانت منسلخ جمادى الاولى سنة 986 والوفد وصل غرة شعبان الموالي . وهذا مما يدل على مزيد الاهتمام ايضا وشدة العناية ، رزقنا الله شيئا منهما .

— 2 —

في يوم 4 غشت 1875 م وقعت معركة وادي المخازن الشهيرة بين الجيش البرتغالي والجيش المغربي الذي انتصر على عدوه انتصارا عظيما .

ويقال لها ايضا معركة الملوك الاربعة وهم ملوك البرتغال وملك المغرب الذي استنصر به ، وقد سقطا في الميدان ؛ والملك عبد الله المعتصم الذي دبر المعركة ومات اثناءها مريضا ؛ والملك احمد المنصور الذي اعلن نتيجة المعركة وتولى يومها عند وفاة اخيه عبد الملك المعتصم .

ومن الغريب اننا — كما قلنا في مقال سابق نشر بمجلة الانوار — لم نجد في الادب المغربي صدى لهذه الموقعة باستثناء ما اتى عرضا في قصيدة لعبد العزيز الفشتالي على حين ان الادب البرتغالي يزخر بترداد ذكرها وقد خرج اهلها منهزمين فكيف لو كانوا منتصرين .

وفي هذه الايام وقفنا على هذه القصيدة البليغة التي نظمها في الموضوع صديقنا الشيخ محمد الامام ابن الشيخ ماء العينين فناسب أن نثبتها في هذا العدد من لسان الدين الذي يسجل مرحلة حاسمة من مراحل الكفاح المغربي وهو ايضا عدد غشت ، الشهر الذي وقعت فيه تلك المعركة الحاسمة .

وها هي هذه :

خليلي مرا بي بوادي المخازن
نجدد شكرا بين تلك المواطن
مواطن كانت للجهاد مشاهدا
بهن مياه العز غير أواسن
به وقعة ما زال يسري نسيمها
على بعد عصر وابتعاد الاماكن
بأيدي رجال شيدوا الدين وارتدوا
رداء من العلياء ضافي المحاسن
فلم تثنهم عن راحة العز راحة
ولا حسو كأس بين شاد وشادن
رجال من ابناء المغاربة الالي
هم الناس ان عدت كرام المعادن
فنشمخ أنفا ثم نطرق بعدها
حياء لفوت بيننا وتباين
اولاك حموا أقصى البلاد وانتم
مساكين محميون وسط المساكن
وما ذاك الا من نتيجة سعيكم
ونبذ لدين المصطفى والتهاون
الم يان للنوام ان يتيقظوا
وان يألموا من حر خدش البراثن
تظنون سورا من حديد امامكم
وما هو الا من ركام الدواخن
الاعرق للمجد المؤثل نابض
فينهض منا قاطن اثر ظاعن
نجدد رسم الدين بعد اندثاره
ونسمك من بنيانه المتطامن
فنرعى رياض العز من كل قارة
ونترك للبيقور مرعى الدواجن
فان انتم راجعتم نهج دينكم
أثرتم دفين العز من كل كامن
واحرزتم من ارثكم كل غابر
وحركتم من مجدكم كل ساكن
وان انتم استحليتم الذل مرتعا
وآلفتم شرب المياه الاواجن
وقلتم مقال العجز في الياس راحة
فتصليم آذان وجدع موارن

* * *

بعد كتابة ما تقدم نشره بنحو سنة ، وقفت عند الاخ الاستاذ محمد المختار السوسي على قصيدة في معركة وادي المخازن للشيخ داود بن عبد المنعم الدغوغي . ممن عاش اواخر القرن العاشر وتوفي أوائل الحادي عشر . اي انه عاصر الوقعة ، وربما كان ممن حضرها . وهذا ما تؤكده القصيدة التي وصف فيها المعركة وصف شاهد عيان . والغريب ان هذه القصيدة من وزن قصيدة الشيخ محمد الامام وقافيتها ؛ فمن الجائز أن صديقنا اطلع على قصيدة الدغوغي ونسج على منوالها . والمهم هو اننا وجدنا صدى للموقعة الكبرى في الادب المغربي ، بخلاف ما كنا نظن من خلوه من ذكرها تماما ، وان كانت هذه الصبابة القليلة لا تروي غليلا ، ولا تشفي عليلا ، وربما كان من بطون الدفاتر وخبايا الخزائن ، آثار اخرى لم نطلع عليها ، وربما ضاع من ذلك اكثر مما بقي ؛ وربما ... وربما ...

وعلى كل حال فهذه هي القصيدة الاولى التي عرفناها في هذا الموضوع :

جنى النصر ما بين الظبا والكنائن
على سابقات المذكيات الصوافن
فبين المعالي والمآثير في الوغى
يجول الذي يبغي اقتحام المدائن
هي السور من يجتزه حل بساحها
فحل له منها امتلاك الخزائن
ومن لم يخض بحر الحروب فلا يرى
احوزته دون العدا خير صائن
ومن لم يخضها بالثبات قرابه
يفيل ويمسي حظه جد خائن
وماذا يفيد الجيش ان كان ربه
كسبستيان عند وادي المخازن
يقود لها ما يحجب الشمس نقعه
مياسره لا تلتقي بميامن
اتى سادرا يختال في غلوائه
وفي صدره للدين غلي الضغائن
يسرب نحو المغربين جنوده
كمثل الدبا عن ماخرات السفائن
وما قصاه الا انتهاك حريمه
ودك صياصيه وبعث الدفائن
وقود أساري المسلمين لارضه
يقدمهم للصلب مثل القرائن
ولهو بأبكار الخدور بناتنا
فيصبحن من خدامه والسوادن
فذا مكره ، والله يمكر مكره
به ، اذا حداه نحو تلك الاماكن
فخيم في تلك الجهات وعينه
لمراكش الحمراء لا لتطاون

ولكنه مع حفله بمدافع
وبيض وسمر وامتلاء الكنائن
تخلف ربط الجاش عنه فرده
على خزبه صفرا ولو من فراسن
تجمع جند الله من كل وجهة
وقد غص من مدينه كل دائن
من الملك المقدام فالعلماء فا
الشيخ أولي التقوى واهل البواطن
وتلوهم الاجناد والناس كلهم
تضل بهم ابصار كل معاين
نشبت لظى الهيجاء ليس وقودها
سوى انفس الشجعان وسط الميادن
اذا ارعدت تلك المدافع ابرقت
صقيلات بيض الهند فوق اليمائن
فلولا البروق الخاطفات من الظبا
لما ابصرت عين خلال المداخن
قد انقضت الفرسان منا عليهم
انقضاض صقور الجو فوق الوراشن
وصابر كل قرنه فمجندل الثـ
ـرى وجريح ساحب للمصارن
وهامهم مثل الكرين وقد غدت
سنابك خيل الله مثل المحاجن
وسيبستيان كفنته مياهه
هزيما ، وماء النهر افظع كافن
فحين قضى البتار في الكفر ما قضى
واشلاؤه نتن بغير مدافن
رايت ألوفا من رؤوس تجمعت
ويا ليتها ايضا جدار المآذن
هنالك نصر المومنين مؤزرا
على كل ذي كفر ، تهجم ، ضاغن
فذلك يوم مثل بدر وصنوه
حنين بأيدي المومنين الميامن
لقد ذاق فيه البردقيز بنا الردى
جزاء مناحيس خرايا ملاعن
بغوا فجنوا جنى البغاة فاصبحوا
سماد الفيافي لاسماد الفدادن
فللثكل ما كان الهزيم لارضه
وللصقر من ذاقوا الردى والشواهن
فنحمد رب العرش اذا كان ديننا
لاهل الوغى والباس خير المعادن

(*) نشر هذا المقال في غشت 1952 بمجلة الانوار
(*) هو العدد الصادر في غشت 1955 .

النبوغ المغربي في الأدب العربي

لعبد الله كنون

عبد السلام الهراس

للأستاذ الكبير السيد عبد الله كنون فضل كبير على المغرب في رفع مستوى الثقافة وفي اكتشاف الأدب المغربي ونشره في الآفاق، وهو من الطليعة المغربية التي لها دور عظيم في النهضة المغربية التي اعتمدت –في أول أمرها- على السلفية واعتنقت آراء جمال الدين والكواكبي ومحمد عبده وتأثرت بأساليبهم وتفاعلت مع النهضة الأدبية في الشرق وتأثرت بما يجري هناك من معارك أدبية، ولعقيدتها الإسلامية كان حبها يميل لمصطفى صادق الرافعي، ولهذه الطليعة في نفسي خاصة تقدير عظيم لأني تربيت في أجواء علمهم وثقافتهم وقد تأثرنا بهم تأثرا كبيرا، وكنا نقرأ ونحن تلاميذ في الابتدائي كل ما يكتبون ونحفظ كل ما يقولون، وكان النبوغ المغربي من الكتب التي قرأناها وشعرنا إذاك بأننا أمام عمل ضخم ومجهود جبار، إلا أن الإنسان قد يتغير رأيه في كثير من الأشياء والأشخاص عندما يودع مراحل الطفولة والتلمذة وخلال تطور عقليته ودراسته، فيبدو له الشارع الكبير زقاقا ضيقا، والساحة الواسعة الأرجاء فسحة محدودة والصخرة العالية حجرة متوسطة، والخطيب المصقع متصنعا تافها، والكاتب القدير سطحيا ضيق الأفق إلا أن هناك أشياء وأعمالا وأشخاصا تحتفظ دائما بمناعة ضد هذه النسبية وتظل أبدا منطوية على القيمة الموضوعية رغم التطورات والأحداث، بل قد يحدث أحيانا أن تكون لها نسبة إيجابية صاعدة.

والنبوغ المغربي من الكتب التي ضمنت لنفسها المناعة والخلود ويبدو الآن عملا ضخما ومجهودا كبيرا كما كان في أول عهده لأنه لم يعتمد في نيل قيمته على بساطة القراء أو انخفاض المستوى الثقافي والعلمي وإنما حدد مستواه حسب ما تقتضيه طبيعة البحث العلمي الرصين، ومما زاده تلك المناعة قوة هو المجهود العظيم الذي بذل في طبعته الثانية مما أبرزه ككتاب جديد في أسلوب رائع.

والنبوغ المغربي عمل أدبي ووطني كتبه الأستاذ السيد عبد الله كنون بدافع التأثر والشعور بفراغ ميدان الأدب العربي من الإنتاج الأدبي المغربي وجهل العرب –وحتى المغاربة- بالتراث المغربي في هذا الميدان.

وهناك عامل قوي كان يحمل أمثال الأستاذ عبد الله كنون على إبراز الحضارة المغربية والكشف عن عظمة المغرب وتاريخه –وهو التهجمات الاستعمارية على المغرب في الميدان الثقافي والعلمي والديني والافتراء والتزييف والأباطيل التي كان يرميه بها ويخترعها للحط من قدره، فكان لابد إذن من المقاومة الفكرية والنضال، ولا يقدر هذا ((الرد الفعل)) إلا الذين عانوه أشد معاناة، ولقد رأينا إحدى صور هذا الشعور في محاضرة الأستاذ محمد الحمداوي في مهرجان تطوان الثقافي التي كان عنوانها ((الحضارة المغربية بين الأصالة والاقتباس)).

ولهذا فإن كتاب النبوغ المغربي يعتبر ثمرة الشعور بالخطر الاستعماري على تاريخ الأدب المغربي وهو صورة رائعة لرد فعل عنيف في المجال العلمي، ولم يكن هذا الرد تلقائيا ساذجا وإنما كان مركزا وضربة قاصمة إذ استطاع أن يكشف للعالم أجمع عن نبوغ المغرب وعبقريته في المجال الأدبي.

وإذا كان المرحوم الأمير شكيب أرسلان يقول في الطبعة الأولى لهذا الكتاب: ((...إن من لم يقرأ كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي فليس على طائل من تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي... بل إنه أولى بهذا الوصف من نفح الطيب لأنه خلاصه منحولة وزبدة ممخوضة..))

وإذا اعترف كارل بروكلمان بأنه استفاد كثيرا من كتاب الأستاذ عبد الله كنون الذي فات بحثه في الأدب العربي –إذا كانت هاتان الشخصيتان العظيمتان تدليان بما للنبوغ المغربي من قيمة جليلة فما عساي أن أقول... وبالأخص في الطبعة الجديدة التي تعد بحق أروع من الطبعة الأولى.

وبين يدي مجلد ضخم يبلغ حوالي ألف صفحة بورق صقيل وطباعة أنيقة وقد طبع هذه المرة في لبنان، ولست أدري ماذا كان يمنع مطابعنا المغربية أن تتشرف بطبع هذا الكتاب القيم، أن دور النشر في بلادنا أصبحت كثيرة ولكنها ما تزال تجري من وراء الربح السريع، ولذلك تكثر من طبع الكتب المدرسية ولكنها لن تقوم برسالتها الحقة إلا إذا تحملت مسؤولية نشر التراث المغربي والإنتاج الجديد في هذا الوطن.

وقد لاحظت أن الأستاذ الجليل أعاد صياغة كثير من العبارات، وبعبارة ألفها من جديد كما أدخل تعديلات على بعض الأفكار والتعليلات، وقد أعيدت كتابة بعض الفصول كالوسط الفكري في عصر الفتوح وقد خفف هنا من حملته العنيفة السابقة على البربر وعقليتهم "التي نسجت من الجهل والغباوة ولم يكن عندهم استعداد لقبول ما جاء به العرب من مدنية وعرفان.." ولكن الأستاذ في الطبعة الجديدة غير الفصل وإن أبقى على بعض الأفكار الأخرى، وقد ترجم في هذا الباب لمن فاته في الطبعة الأولى مثل دراس ابن إسماعيل وأبو جيدة والأصيلي وابن العجوز كما ذكر أسماء شخصيات علمية وأدبية جديدة.

وفي هذه الطبعة أعطى الأستاذ المؤلف للدولة المرابطية حقها بعد أن لم تنل من الطبعة الأولى إلا النزر اليسير، وقد أفرد لها فصلا خاصا بها استهله بقوله: "لقد آن للبحث العلمي أن ينصف دولة المرابطين ويقول فيها كلمة عادلة لا تتأثر بعصبية بلدانية ولا بحمية دينية".

والواقع أن الأغراض الشخصية والعواطف الجارفة والروح المسيحية المتعصبة كان لها الحظ الأوفر في تشويه سمعة المرابطين وتصويرهم بصور الوحشية والغلظة والبعد عن المدنية، وما خلت أمة من طبقة المنتفعين من الفساد، الذين تهيئ لهم الأجواء الفاسدة والتدهور السياسي والأخلاقي في الأمة شروط حياتهم وسعادتهم.

وكما أن للاتجاهات الصالحة مناضلين يسترخصون أنفسهم وأموالهم في سبيل نصرة المثل العليا فكذلك للباطل والانحطاط والاتجاهات المتعففة مناضلون ومخلصون وماذا كان ينتظر من عصابة من الماجنين والمنتفعين من التعفنات، يقضون لياليهم في اللهو والعبث وفي الدرس والمكر والاستغلال، ويعبثون فسادا، وينخرون جسم الأمة الإسلامية في الأندلس –ماذا كان ينتظر منهم إذ قام رجل صالح يردعهم عن منكرهم، ويجتث فسادهم، ويحرمهم لذائذهم، وينغص عليهم انحلالهم وانحرافهم، إنهم لا شك –كما وقع بالفعل- مفجرون أحقادهم ومرسلون لسانهم في السب والشتم في هذا الرجل ودولته وتمنوا زوالها كما نرى في مواقف كثير من الأحزاب إزاء بعضها وبالأخص في الدول المتخلفة، كذلك كانت قصة المرابطين مع الأندلسيين أو بعبارة أصح مع الطبقة الفاسدة والحاكمة منهم والذين أضاعوا كثيرا من الأجزاء الأندلسية وأوشكوا أن يسلموا ما تبقى منها إلى النصارى كما وقع بالفعل بعد أن ضعف المغرب عن الدفاع عن الأندلس.

وقد كشف الأستاذ المؤلف عن أسباب الطعن في المرابطين ودافع عنهم دفاعا حارا بمنطق رزين وأسلوب رائع وروح علمية، وأبرز أن المرابطين كانوا كرماء، حلماء مع أعدائهم واستشهد لذلك بشواهد عدة، كما أنهم أكرموا المعتمد إكراما بالغا عندما أنزلوه طنجة وأغمات المدينة العظيمة المزدهرة، وتركوا له الحرية التامة، وكان الشعراء يفدون عليه ويتصلون به اتصالا حرا..

وقال المؤلف عن رعاية المرابطين للأدب والعلوم: "ليس هناك من ينكر أن الازدهار الذي عرفته الأندلس أيام المرابطين والموحدين بعدهم يكاد يفوق ما كان لها من قبل.. والحياة العلمية والأدبية التي ازدهرت أيام الموحدين ليست إلا غرس ورعاية المرابطين".

والحق ما قاله المؤلف الكريم لأن الحياة العلمية ليست أمرا تلقائيا مفاجئا فلا بد من غراس ومغارس وأجواء ملائمة سابقة ولولا المرابطين الذين أعطوا للمغرب الإسلامي بما فيه الأندلس أول قوة عظيمة يرهبها الأعداء، وأشاعوا الأمن والرخاء وأتاحوا الفرص للاتصال لما كانت تلك النتائج الاجتماعية والعلمية والأدبية التي شهدناها أوائل الموحدين وبعدهم..

ويقول المؤلف: "وما وقع من اضطهاد لبعض الأفكار والعلماء في عهد المرابطين والموحدين وقع مثيله في الأندلس من قبل". ولعل هذه النزعة أندلسية.. ويؤيد الأستاذ رأيه بدلائل، وبين أن إحراق كتاب الإحياء تولى كبرها أبو عبد الله بن حمدين قاضي قرطبة. وقد أسهب المؤلف في الدفاع عن المرابطين من الناحية السياسية والروح العلمية وبين أنه كان للمرابطين ذوق أدبي وقدرة على الحكم الفني، وضرب لذلك أمثلة كما وجه أمثلة أخرى كانت تفهم على غير حقيقتها، وقد كان اختيار المرابطين لكتابهم دليلا على ذلك الذوق والتقدير لمنزلة الكتاب.. ويمتازون بالتجاوز عن الأدباء الأعداء الذين كانوا يضمرون لهم السوء كموقفهم مع أبي محمد بن أبي الخصال وكان هذا يحقد عليهم –وهو ينعم في ظلهم- ويهتبل الفرص لنفث حقده وبث عواطفه الصريحة، وقد تفطن أمير المسلمين لمغامزه، يقول المؤلف: "ولا ندع هذه الحادثة تمر دون أن نقيمها حجة على من يتهم المرابطين بعدم الذوق الأدبي وكثافة الإحساس الفني.. فكيف فطن علي بن يوسف لمغامز ابن أبي الخصال وتورياته التي ظن أنها تخفى على مخدومه إن لم يكن مثقفا..." (ص ٨٠ ج ١).

وقد تكلم الأستاذ المؤلف عن ولوع الأسرة المرابطية الحاكمة بالأدب والشعر ولم يقتصر ذلك على الرجال بل شاركت النساء بنصيبهن في ذلك كالأميرة بنت يوسف بن تاشفين وزينب بنت إبراهيم، وقد ترجم الأستاذ لبعض علماء وأدباء هذا العصر...

وقد رأينا في الطبعة الجديدة فقرات رائعة عن مدى تقدم المغاربة في ظل الموحدين في ميدان الطبخ والحلوى حيث كان لدى الموحدين أكثر من خمسمائة لون من ألوان الطعام والشراب والحلوى مما يدل على الحضارة والرقي، كما تحدث عن العالمات ومشاركة المرأة في النهضة العلمية.

وقد ترجم في باب الموحدين –لشخصيات جديدة لم تذكر في الطبعة الأولى مثل أبي القاسم الجزيري وأبي محمد صالح وعبد الجليل القصري –من القصر الكبير- وابن فرتون وأبي حفص عمر، وقد فعل مثل ذلك في الكتاب كله.

إذا انتقلنا لقسم النصوص وجدنا أنفسنا أمام نصوص جديدة لم تذكر في الطبعة الأولى وتصحيح نسبة بعضها كما قال في المقدمة، ويقول المؤلف في المقدمة: "ويقوى الداعي إلى هذا التصحيح أننا رأينا الذين كتبوا في موضوع الأدب المغربي يقلدوننا في تلك الأغلاط.." وباختصار فإن الطبعة الجديدة للنبوغ تحمل معنى الجدة في الشكل والمضمون مما يدل على المجهود الجبار الذي بدله المؤلف في سبيل أمته ووطنه، وبذلك سيظل اسم الأستاذ عبد الله كنون دائما مقترنا بالأدب المغربي باعتباره البطل الأول والمبرز في هذا الميدان فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

وبعد فإننا نرجو أن يقدم لنا الأستاذ الجليل دراسة وافية عن المراجع في الأدب المغربي وعن قيمتها وعن أماكن وجودها.

كما نطالبه أن يؤلف لنا كتابا خاصا بالنصوص للأدب المغربي من خلال عصوره الإسلامية بما فيها الغث والسمين.

وأخيرا اعتذر إذا أنا لم أف التعليق حقه لأن ذلك الأمر شاق بالنسبة لضيق الوقت وأرجو أن أوفق للكتابة عنه بكل تفصيل عندما تتاح لي الظروف.

دعوة الحق العدد الثاني سنة ١٩٦٢.

المحتويات

١-دين الرحمة
٢-دور علماء المغرب في الدعوة إلى الله
٣-في الدعوة والدعاة
٤-حول وقعة وادي النيل
٥-النبوغ المغربي في الأدب العربي أ/عبد السلام هراس

عبد الله كنون ..النبوغ المغربي في الأدب العربي

محمد سيد بركة

barakah169@yahoo.com

كاتب من مصر

عبد الله كنون علامة بارزة من علامات الأدب العربي المعاصر وخاصة المغربي كان عضوا في كل المحافل العلمية والأدبية في عالمنا العربي .
ولد عبد الله بن الشيخ عبد الصمد بن التهامي كنون بمدينة فاس يوم السبت ٢٠ من شعبان ١٣٢٦ ه والموافق16 سبتمبر ١٩٠٨م فهو من الرعيل الذي تكونت منه القيادات الجهادية والسياسية والأدبية . نشأ والبلاد ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي مما اضطر كثيراً من الأسر إلى الهجرة ، إلى جهات مختلفة ، وأراد والده الهجرة إلى المدينة المنورة ، لكن قيام الحرب اضطره إلى المكوث في طنجة ، وقدر الله تعالى أن يكون هذا الاستقرار دائماً . وشب الشيخ في طنجة وتلقى العلم عن علمائها ، وعنى به والده عناية فائقة فنمت مواهبه ، ومداركه حتى بلغ في العلم والأدب شائناً رفيعاً ، فكان عالما مربياً ، كما كان له أثر بالغ في توجيه الأمور السياسية ، وبث الفكرة السلفية ودعمها ، وإشاعتها ، ليرتبط الناس بدينهم وقد خلف الكثير من الكتب في مختلف الفنون الشرعية والأدبية والتاريخية واللغوية .
اشتغل ابتداء من سنة ١٩٣٦ بالتدريس حيث أسس مدرسة "عبد الله كنون" الحرة والمعهد الديني بطنجة، كما عمل سنة ١٩٣٧ مديرا للمعهد الخليفي ثم أستاذا بالمعهد العالي وبكلية أصول الدين بتطوان. تقلد منصب وزير العدل في الحكومة الخليفية بين سنتي ١٩٥٤-١٩٥٦. ثم عين عاملا بطنجة سنة ١٩٥٧ وقدم استقالته عام ١٩٥٨ .توفي سنة ١٩٨٩ .
ترأس عبد الله كنون تحرير مجلة "لسان الدين" كما عمل مديرا لجريدة "الميثاق" و ساهم في تحرير مجلة «الإحياء»: وقد حظي بعضوية مجموعة من الهيئات: المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٦ ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١٩٦١، رابطة علماء المغرب، هيئة القدس العلمية ١٩٧٣، مجمع اللغة الأردني ١٩٧٨، المجمع العلمي العراقي ١٩٧٩، أكاديمية المملكة المغربية ١٩٨٠ ..

يتوزع إنتاجه بين الكتابة) الشعرية، القصصية، الأدبية) والكتابة التاريخية .

من أعماله المنشورة :

-النبوغ المغربي في الأدب العربي (ثلاثة أجزاء)- شرح مقصورة المكودي - أمراؤنا الشعراء -مدخل إلى تاريخ المغرب - واحة الفكر - تلقيب الوليد الصغير لعبد الحق الإشبيلي - شرح الشمقمقية - رسائل سعدية - ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث - القدوة الزقاقية

-أحاديث عن الأدب المغربي الحديث - لوحات شعرية - أزهار برية - إسلام رائد - كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة وشرحها/ تأليف عبد اللطيف البغدادي، تحقيق عبد الله كنون - جولات في الفكر الإسلامي - تفسير سور المفصل من القرآن الكريم - فضيحة المبشرين في احتجابهم بالقرآن المبين - إيقاعات الهموم: شعر - على درب الإسلام - الإسلام أهدى - مفاهيم إسلامية - أشداء وأنداء - أدب الفقهاء - الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية /ع. الفاسي، عبد الله كنون، عبد الهادي التازي ومحمد المنوني .(

عجالة المبتدى وفضالة المنتهى للحازمى الهمدانى تحقيق عبد الله كنون .

بالإضافة إلى هذه الأعمال، لعبد الله كنون أيضا :

-المنتخب من شعر ابن زاكور - مجلة لقمان - خل وبقل - تحركات إسلامية - شؤون إسلامية - منطلقات إسلامية - العصف والريحان - سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب - مورد الشاعرين - محاذي الزقاقية - من أدبنا الشعبي - أحاديث في الأدب المغربي - في اللغة والأدب .

يعد كتاب العلامة عبد الله كنون رحمه الله النبوغ المغربي في الأدب العربي

من الكتب الرائدة في التعريف بإسهام المغاربة في الحضارة العربية .
ولقد تعرض كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي منذ صدوره لردود فعل متباينة ما بين مشيدة بإنتاج يضيء ثلمة من جوانب الأدب العربي ظلت مغيبة لزمن طويل، وأخرى ناصبته العداء عندما رأت أنه يكرس وعيا بالوطنية والهوية الحضارية لدى المغاربة، خاصة وأن مؤلفه برع في تأريخ الأدب المغربي من جوانبه الفكرية والسياسية، فما الذي جعل هذا الكتاب يحظى بهذه الأهمية؟
يرى الشيخ عبد الله كنون أن الأدب المغربي ظل متجاهلا لدى طائفة كبيرة من المهتمين بتأريخ الأدب العربي سواء من المشارقة أو غيرهم، فجاءت الحاجة لإخراج النبوغ لتصوير الحياة الفكرية والسياسية للمغرب وتطورها عبر العصور، إذ اشتهرت صورة المغرب لدى أذهان الكثيرين ببطولات الجهاد والفتوحات، وتدعيم أركان الإسلام بمنطقة الغرب الإسلامي وتم نسيان مساهمة الأدباء والمفكرين المغاربة في ازدهار الأدبيات العربية وتشجيع أرباب السلطان للعلم وأهله .
وبناء على هذا، يشير المؤلف إلى الغاية من التأليف إذ أنه:' لم أكن أهدف به إلى تمييز أدب المغرب بميزة ليست في الأدب العربي العام، ولا إلى تخصيصه ببحث مستقل يجعله في نظر المغاربة أو غيرهم...وإنما مقصودي الأهم من تأليفه هو بيان اللبنة التي وضعها المغرب في صرح الأدب العربي الذي تعاونت على بنائه أقطار العروبة كلها .'
ويرجع كنون الجهل بمساهمة الأدب المغربي في بناء صرح الأدب العربي إلى تفريط الأدباء المغاربة' الذين ضيعوا أنفسهم وأهملوا ماضيهم وحاضرهم حتى أوقعوا الغير في الجهل بهم والتقول عليهم .'
وتقديم الأدب المغربي للدوائر العلمية والعربية كفيل بإزالة حجاب الخفاء على كثير من الحياة الفكرية لأهل المغرب، 'وسوف ينقضي تجني إخواننا

من بحاث الشرق على آثارنا وتحاملهم على آدابنا، لأن ذلك لم يكن منهم عن عمد وسوء قصد وإنما هو ارتياء واجتهاد'ص :٢٣ من النبوغ .

وسنجد الكاتب يعطي وعدا للقارئ بالحرص على الموضوعية في بيان مميزات الأدب المغربي، فهذا الكتاب رغم العقبات التي وقفت أمام إخراجه المتمثلة في قلة المراجع والإمكانات المادية -لأن قريشا قصرت بهم النفقة- وكذلك الأدبية، فالشيخ حرص بما يشبه القسم:'أن الكتاب ليس فيه حرف واحد كتب انتصارا للنفس أو تعريضا بأحد أو تملقا لشخص أيا كان، ولست أبالي بعد هذه ما يوجد فيه من عيب أو يوصف به من نقصان .'

من عادة الأمور الكبيرة أن يلفت إليها الناس سواء بالإشادة أو الانتقاد، والشاعر العربي يقول :

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وهكذا عندما ظهر' النبوغ'، عده الأستاذ سعيد حجي رحمه الله الحدث في مقال كتبه بالعدد الثامن لجريدة المغرب ب 'الحادث الخطير في تاريخ المغرب' قائلا:'ظهور كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي، أول كتاب من نوعه وأوفاه في موضوعه .'

أما الأمير شكيب أرسلان والذي كانت له صلات قوية مع علماء الإصلاح بالمغرب من أمثال علال الفاسي وتقي الدين الهلالي ومحمد بن العربي العلوي، فقد كتب عن النبوغ بحثا وافيا نشر بجريدة الوحدة المغربية في عدديها:٤٢٢ و٢٣٤ أوضح فيه أن الكتاب الصغير في حجمه الكبير قدره ' من لم يقرأ النبوغ المغربي في الأدب المغربي فليس على طائل من تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي، بل هذا الكتاب في موضوعه أجدر بالإطلاق الشامل من كتاب'نفح الطيب' للعلامة ابن المقري...فأما النبوغ فهو خلاصة منخولة، وزبدة ممخوضة، استخلصها صاحبها من مئات الكتب المصنفة، وألوف من الأحاديث التي لقفها من أفواه العلماء الذين أخذ

عنهم .'

ويضيف الأمير شكيب أرسلان أن الكتاب مزج بين'الحركات الفكرية والحركات السياسية مزجا عجيبا، حقق فيه الصلة الطبيعية التي لا تكاد تنفك في كل دور من أدوار الأمم بين العلم والسياسة، بحيث لا يرقى الواحد منها إلا برقي الآخر'ص.١٨١٧ ويلفت أرسلان إلى دور الأخوة الإسلامية في التواصل بين بلدان الإسلام منبها أن من أسباب جهل المشارقة وتنكرهم لمساهمة المغاربة مرده إلى تأثير عصور الانحطاط وتكالب الاستعمار على الشعوب الإسلامية ولم يعد'الأخ يعرف شيئا عن أحوال أخيه، فقد عهدنا عندما كان الإسلام إسلاما، وكانت الرجال رجالا أن الحركات الفكرية إذا شاعت بالمشرق شاعت في المغرب، وإذا نبغ شاعر أو كاتب في إحداهما تناقل الناس أقواله للآخر .'

ولكن مع تطور وسائل الاتصال اليوم فإن جهل المشرقي بأحوال المغرب ومآثره يكون صاحبه:' جديرا باللوم وحقيقا بالرثاء لقصور معارفه'ص.١٩ أما بالنسبة للأستاذ حنا الفاخوري صاحب كتاب 'تاريخ الأدب العربي' فيؤكد أن النبوغ يعد فتحا من الفتوح الأدبية والفنية فالعلامة عبد الله كنون يمتاز' بالرصانة العلمية التي تتحرى الحقيقة في غير نزق، وتتبع أوثق المصادر في غير تحيز، وتواجه الصعوبات في صبر وهدوء'ص٦٣٤ من كتاب 'النبوغ .'

ويشير الأديب الكبير حنا الفاخوري إلى أن الأحكام والآراء الواردة في النبوغ:'تفرض نفسها فرضا في غير تبجح ولا تطفل، وتواجه العقل في قوة جذابة وتستولي عليه بما فيها من بلاغة إقناع ونصاعة حقيقة، ليخلص إلى التأكيد أن النبوغ المغربي:' كنز ثمين من كنوز العلم، ومصدر من أوثق مصادره، وموسوعة مغربية لا يقدرها إلا من لمس النقص في كتب الأدب'ص:٤٣٦ من الكتاب .

وبالنسبة للجانب الغربي فقد احتفلت إسبانيا بالمؤلف، واقتنت منه كمية من النسخ وتمت ترجمته إلى الإسبانية ومنحت وزارة المعارف الإسبانية الشيخ كنون دكتوراه الشرف في الأدب من جامعة مدريد، أما السلطات الفرنسية فأصدرت بلاغا عسكريا يمنع الكتاب من البيع والتوزيع ومن خالف ذلك يعاقب بمقتضى القوانين المقررة معتبرة الكتاب عملا وطنيا فوق كونه عملا أدبيا، وهو القرار الذي نددت به الصحف الوطنية .

يضع الشيخ كنون خطة للنبوغ في تقسيمه إلى ثلاثة أقسام حسب الطبعة الثانية، أما الأولى فقد كان الكتاب مقسما إلى جزأين :

الجزء الأول تناول فيه الشيخ كنون التاريخ السياسي للمغرب عبر العصور منطلقا من الفتح الإسلامي حتى فترة العلويين مرورا بالزمن الأدارسي والمرابطي والموحدي والمريني والسعدي، وفي كل فترة يقدم الأوضاع السياسية ونشأة الحركة العلمية فيها ومكونات الهيئة العلمية ،مترجما لبعض روادها ومشاهير أدبائها وفقهائها وخصائص الحياة الأدبية لكل مرحلة .ويضمن في دراسة كل مرحلة نظرته الإصلاحية لبعض القضايا ذات الصلة، ففي مرحلة الفتح الإسلامي مثلا يناقش الاختلاف بين البربر والعرب مشيرا إلى أن سبب الشنآن بين الطرفين مرده إلى عدم المساواة في المناصب ومهام التسيير، مؤكدا أن نجاح التآلف كان دائما في إطار الإسلام وما يقدمه الفقهاء والعلماء من مبادئ التعايش والكرامة التي تحققها مبادئ الإسلام. وفي مرحلة الموحدين والمرابطين يبرز دور العلماء والفقهاء في بناء الصرح السياسي لكل دولة وإشادة زعماء الدولة بالأدباء والشعراء والمفكرين، وفي العصر الموحدي يورد كنون اهتمام المرابطين بالأدباء مفندا رأي المستشرق الهولاندي'رينهيرات دوزي' بخصوص اضمحلال الأدب بالأندلس بأن الدولة المرابطية كانت دولة فقه وليست علم وأدب .

واستهل عبد الله كنون القسم الثاني من النبوغ بإيراد رسالة تقدير من

المستشرق الإنجليزي كارل بروكلمن صاحب تاريخ الأدب العربي واستفادته من مواد النبوغ، ثم ينتقل إلى إيراد مختارات نثرية مقسمة إلى خانة التحميد والصلاة والخطب والمناظرات والإخوانيات والمتفرقات والمقامات والمقالات والمحاضرات .

أما القسم الثالث وهو بصيغة أخرى الجزء الثاني من القسم الثاني فقد خصصه كنون للمختارات الشعرية حسب الأغراض الشعرية المعروفة من فخر وحماسة ووصف ومدح وغزل وموشحات وأزجال

يقول طه حسين :"كتاب ممتع للأستاذ عبد الله كنون عضو مجمع اللغة العربية عن المغرب الأقصى ..

هذا كتاب ممتع كل الإمتاع نافع كل النفع للذين يعنون بالأدب العربي وتاريخه فهو يفصل لنا كل التفصيل التاريخ السياسي والأدبي والعلمي للمغرب الأقصى ".

أما الدكتور نقولا زيادة يقول : هذا كتاب جليل في موضوع جليل لمؤلف جليل .

وفي ختام الكتاب الذي زادت صفحاته عن الألف أثبت المؤلف مراجع الدراسة مقسمة إلى مصادر خاصة وعامة .

إن كتاب 'النبوغ المغربي في الأدب العربي' شكل حافزا لتدريس مادة الأدب المغربي في الجامعة المغربية، والكتاب الذي كتب بأسلوب السهل الممتنع يكرس بشكل ملموس حضور الإبداع المغربي في بناء صرح الأدب العربي عامة، ويكفيه شهادات التقدير التي حظي به من المختصين بتأريخ الأدب العربي من عرب ومستشرقين، والذي يجب تأكيده أن الوفاء للمؤلف وجهاد المؤلف (بكسر اللام)هو تدريسه في المراحل الإعدادية والثانوية حتى تعم فائدته كل الأجيال ولا تقتصر بل ونشره في أقطار المشرق العربي حتى يعلم المشارقة جهود إخوانهم المغاربة

المحتويات

١ -دين الرحمة
٢ -دور علماء المغرب في الدعوة إلى الله
٣ -في الدعوة والدعاة
٤ -حول وقعة وادي النيل
٥ -النبوغ المغربي في الأدب العربي أ/عبد السلام هراس
٦ -عبد الله كنون ..النبوغ المغربي في الأدب العربي
محمد سيد بركة